No. 23 Vol. 02 (2023)
e-ISSN 2785-9169
https://ejournal.unipsas.edu.my

اَلْقَضَايَا التَّرْبَوِيَّةُ فِي كِتَابِ النَّظَرَاتِ لِلْمَنْفَلُوطِي

EDUCATIONAL ISSUES IN THE BOOK ANNADHARAAT BY MANFALUTI

Ouedraogo Inoussa[1]
[1]Fakulti Pengajian Islam, Universiti Islam Pahang Sultan Ahmad Shah, Malaysia

الملخّص

من القضايا الاجتماعيّة الّتي تناولها صاحب النّظرات في كتابه، قضايا تربية النّاشئة وتعليمهم والاهتمام بمستقبلهم وتوعيتهم عن حقيقة الحياة قبل أن يخوضوا فيها فيكونوا ضحايا الظّلم الاجتماعي المتجذّر. وتظهر المشكلة الّتي يهدف هذا البحث إلى علاجها في أنّنا حين نلاحظ مجتمعاتنا الحالية وما يجري فيها من الظّواهر المحيّرة، نجد لكلّ شيء صلة بالظّواهر التّربويّة الّتي تناولها صاحب الكتاب منذ أكثر من قرن، ممّا يتطلّب تضافر الجهود في هذا المجال، وعليه فإنّ هذا البحث جاء لتسليط الضّوء على هذه القضايا الّتي تناولها الكاتب في كتابه؛ جمعًا وتصنيفًا وتعليقًا. وقد انتهجت فيه المنهج الوصفي والتّحليلي، ونظرًا لطبيعة البحث اهتمّ الباحث فقط برواية فحوى الموضوعات في سياق تصنيفاته وتحليلاته لها مع عزو كلّ قصّة أو مقال إلى مرجعها من الكتاب، بعيدًا عن سوق النّصوص والشّواهد بالنّقل، ويشتمل البحث على مقدّمة ومحورين وخاتمة، المحور الأوّل في شخصيّة المنفلوطي، والثّاني في القضايا التّربويّة في كتابه النّظرات.

الكلمات المفتاحية: الأولاد– الأطفال– الفتيان– التّربية– المستقبل– الدّراسة– العمل.

Abstract

Among the social issues addressed by the author of the views in his book, the issues of raising young people, educating them, caring for their future, and educating them about the reality of life before they delve into it and be victims of deep-rooted social injustice. The problem that this research aims to treat appears in that when we observe our current societies and what is happening in them of puzzling phenomena, we find everything related to the educational phenomena dealt with by the author of the book more than a century ago, which requires concerted efforts in this area, and therefore this research came to shed light on these issues addressed by the writer in his book; collection, classification and commentary. It has adopted the descriptive and analytical approach, and due to the nature of the research, the researcher was interested only in narrating the content of the topics in the context of his classifications and analyzes of them with the attribution of each story or article to its reference from the book, away from the market of texts and evidence by transfer, and the research includes an introduction, two axes and a conclusion, the first axis in the personality of Manfaluti, and the second in educational issues in his book Views.

***Keywords**: children, children's boys, education, future, study, work*

Perkembangan Artikel

Diterima: 16 Ogos 2023
Disemak: 3 Oktober 2023
Diterbitkan: 31 Oktober 2023

*Corresponding Author: Ouedraogo Inoussa

Email: yunus@unipsas.edu.my

مقدّمة

من أهمّ أدوار الأدب تجاه المجتمع هو تصويره تصويرًا صحيحًا يظهر فيه مظاهر الخير والإتقان للتّشجيع عليها، ومظاهر الخلل والفساد للزّجر منها، وإذا شئت أن تدرك هذا الدّور عمليًّا بشكل جليّ في الكتابات الأدبيّة، فكتاب النّظرات للمنفلوطي يشفي الغليل ويقصّر الطّريق، وإذا وقفت تعدّ الموضوعات والظواهر الاجتماعيّة الّتي عالجها الكاتب منذ أكثر من قرن وتصنّفها، فإنّك أمام مرآة تعكس أحداث زماننا بجميع أشكالها، وكاميرا يصوّر ظواهره الاجتماعيّة؛ عليه فإنّ هذا العمل جاء تقريبًا لأفكار هذا الكتاب خاصّة المتعلّقة منها بالقضايا الزّوجيّة، أملاً أن تلعب دورًا مهمًّا في إيقاظ الوعي الاجتماعي والتّنبيه على ما ينبغي السّير عليه في الحياة.

وقد قسّم الباحث هذا العمل إلى محورين بعد المقدّمة، يتناول المحور الأول: التّعريف با المنفلوطي نشأته ومنزلته في الكتابة، والمحور الثّاني: القضايا التّربويّة في كتاب النّظرات للمنفلوطي، ثمّ خاتمة تجمع شتات الدّراسة الّتي تمّ عرضها.

مشكلة البحث

من أهمّ المبادئ الّتي نادى بها النّقّاد منذ الثّورة على المنهج الكلاسيكيّ للأدب، هي أن يكون الأدب خادمًا للمجتمع، مصوّرًا لمشاكله وداعيًا إلى تقويم الإعوجاجات فيه وإصلاح القضايا الاجتماعية المختلفة. والمجتمع البشري منذ بدء الخليقة إلى الآن، كما هو في كلّ أنحاء العالم بما يتميّز به من صلاح وفساد في آن واحد.وحين تتباين وجهات الأفراد في المنظومة الاجتماعيّة الواحدة تباينًا كبيرًا جدًّا، فلا يعني ذلك إلاّ خسارة الصّالحين والمخلصين والضّعفاء في سوق التّنافس، ووقوعهم ضحايا الظّلم دائمًا.

وظاهرة ضياع الأجيال بغموض مناهج تعليم الأولاد، ووجود فجوة كبيرة بين ما يدرسون من المبادئ وما يجدونه في واقع مجتمعاتهم، ظاهرة قديمة ومتجدّدة يُعنى بها الأدب والأدباء في كلّ العصور، فما ذا عسى بمقدورنا أن نفعل لتجفيف منابع هذه المشاكل في عصرنا؟ وما الّذي يمثّله كتاب النّظرات للمنفلوطي من دور لمحاربة هذه الظّاهرة؟

أسئلة البحث

1. ماذا يمثّل النّاشئ الصّغير في المجتمع حسب المنفلوطي؟
2. ما الّذي ينتقده المنفلوطي في تربية الأولاد ؟
3. على من يحمّل المنفلوطي مسؤولية فساد تربية الأولاد ؟
4. إلى مَ يدعو المنفلوطي لإصلاح تربية الأولاد ؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى كلّ ممّا يلي:

1. معرفة ما يمثّله النّاشئ الصّغير في المجتمع حسب المنفلوطي في كتابه النّظرات.
2. معرفة الظّواهر الّتي ينتقدها المنفلوطي في تربية الأولاد.
3. التّعرّف على من يحمّلهم المنفلوطي مسؤولية فساد تربية الأولاد في المجتمع.
4. معرفة المبادئ الّتي يدعو إليها المنفلوطي لإصلاح تربية الأولاد.

منهج البحث

ينتهج هذا البحث المنهج الوصفي والتّحليلي، لجمع كلّ الموضوعات المتشابهة في الكتاب على سياق تربية الأولاد، ثمّ التّعليق عليها واستنتاج الدّروس منها.

المحور الأوّل/ المنفلوطي، التّعريف به ونشأته، وبيان منزلته

1. التّعريف به ونشأته

هو مصطفى لطفي بن محمّد لطفي بن حسن لطفي المنفلوطي، ولد بمنفلوط من أعمال مديريّة اسيوط سنة : 1293هـ الموافق 1876م، ونشأ في بيت كريم بالدّين جليل بالفقه، توارث أهله قضاء الشّريعة ونقابة الصّوفيّة، قرابة مائتي سنة، ونهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثّقافة فحفظ القرآن في المكتب، وتلقّى العلم في الأزهر، لكنّه مع كلّ ذلك لم يكن يهتمّ بشيء في حياته اهتمامه بالعلوم اللّسانية والفنون الأدبيّة، وقد كان في ذلك مخالفًا لما أحبّه له أبوه، ولذلك كانت بدايات تجاربه

في الكتابة تتمّ في خفية جدًّا ويصوّر حاله بنفسه على ذلك في مقدّمة كتابه النّظرات يقول: "..فكان الّذين يتولّون أمري منهم لا يزالون يحولون بيني وبينه كما يحول الأب بين ولده وبين ما يعرض له من فتن الهوى، ونزغات الصّبوة ؛ ضنًّا بي– يزعمون– أن أنفق ساعة من ساعات دراستي بين لهو الحياة ولعبها؛ فكنت لا أستطيع أن ألمّ بكتابي إلاّ في السّاعة الّتي آمن فيها على نفسي أن يلمّوا بأمري، وقليلاً ماكنت أجدها، وكثيرًا ما يهجمونني على ما لا يحبّون، فإذا عثروا في حقيبتي، أو تحت وسادتي، أو بين لفائف ثوبي، على ديوان شعرٍ أو كتاب أدبٍ خُيّل إليهم أنّهم قد ظفروا بالدّينار في حقيبة السّارق أو الزّجاجة في جيب الغلام، أو العشيق في خدر الفتاة، فأجد من البلاء بهم، والغصص بمكانهم، ما لا يحتمل مثله مثلي، وهم لا يعلمون –أحسن الله إليهم–أنّهم وجميع من يدور به جدار مسجدهم حسنة من حسنات الأدب، الّذي ينقمونها؛ ويَدٌ من أياديه البيضاء على هذا المجتمع البشري ...."(مصطفى لطفي المنفلوطي، 1925، ج1 ص10) وقد كان المنفلوطي يحفظ الأشعار ويتصيّد الشّوارد، ويصوغ القريض وينشئ الرّسائل، حتّى أصبح مشهورًا في الأزهر بذكاء القريحة وروعة الأسلوب وبذلك نال رعاية الأستاذ محمّد عبده الّذي رسم له أمثل الطّرق في الكتابة ليرتقي لذلك إلى أسمى مستوى في الأدب والحياة؛ إذ استفاد من قربه بالإمام بعلاقة مع سعد باشا زغلول، ومن ذلك تعلّق بصاحب "المؤيّد"، وهؤلاء الثّلاثة كانوا هم أقوى العناصر في تكوين المنفلوطي بعد استعداد فطرته وإرشاد والده.

وقد نسب إليه أثناء طلبه في الأزهر بأنّه هجا الخدّيوي عبّاس فحكم عليه بالحبس مدّة العقوبة، ثمّ لما توفي الإمام محمّد عبده جزع المنفلوطي على رجائه وسنده، وارتدّ إلى بلده مقطوع الرّجاء، ولما صارت إلى سعد باشا وزارة المعارف عيّنه محرّرًا عربيًّا لها، ولما تحوّل إلى وزارة العدل حوّله معه وولّاه مثل هذا المنصب، ثمّ انتقل الحكم إلى غير حزبه فنقل من عمله، حتّى إذا قام البرلمان عيّنه سعد باشا في وظيفة كتابيّة بمجلس النّوّاب ظلّ فيها حتّى توفي وهو في العقد الخامس من عمره.

2. أخلاق المنفلوطي ومنزلته

وكان المنفلوطي في أخلاقه قطعة موسيقيّة في ظاهره وباطنه؛ فهو مؤتلف الخلق متلائم الذّوق متناسق الفكر، متّسق الأسلوب، منسجم الرّيّ، لا تلمح في قوله ولا في فعله شذوذ العبقريّة، ولا نشوز الفدامة، كان صحيح الفهم في بطء، سليم الفكر في جهد، دقيق الحسّ في سكون، هبوب اللّسان في تحفّظ، وهذه الخلال تظهر صاحبها للنّاس في مظهر الغبيّ الجاهل، فهو لذلك كان يتّقي المجالس، ويتجنّب الجدل ويكره الخطابة، وإلى جانب ذلك فهو رقيق القلب عفّ الضّمير سليم الصّدر، صحيح العقيدة نفاح اليد، موزّع العقل والفهم والهوى، بين أسرته ووطنيّته، وإنسانيّته(أحمد حسن الزّيّات، د.ت، ص 46).

وقد كان للمنفلوطي شهرة فائقة أكسبتها إيّاه طاقته البيانيّة وأسلوبه الحرّ، وأوصلته إلى ما أوصلته من المناصب الكتابيّة والمكانات السّياسيّة المختلفة، فقد أثّر الرّجل بكتاباته الأجيال المختلفة شبابًا وشيوخًا حتّى غدت مناهج تعليم في مختلف البلاد العربيّة، الأمر الّذي يبعث العقّاد وإن كان من خصومه إلى أن يطلق على عصره بالعصر المنفلوطي، إلاّ أنّ العقّاد وزميله المازيني والأستاذ طه حسين لم يتركوا المنفلوطي في حرّيّته وعاطفيّته العميقة ومعانيه المكرّرة في ألفاظ متنوّعة؛ فقد وصفوا أدبه بالعنوسيّة والبكاء والادّعاء والانتحال وقلّة المادّة وكثرة اللّحن، كما يرميه طه حسين بأنّه"يقضي ساعات اللّيل ومعظم النّهار بين قلب يجفّ، ودمع يكفّ، وجسم يرتجف، شهيق، وحريق، زفير وسعير"(صلاح حسن رشيد،2014)، أمّا المازني فهو يرى قرّاءه مرضى في نفوسهم وأذواقهم لأنّ أدبه ادّعاء وتقليد ويضيف: "لكن لكلّ كاتب قرّاء على شاكلته منسوجين على منواله"(صلاح حسن رشيد،2014)، كما يصف أدبه في ميزان نقده بأدب الضّعف، والأمثل الّذي يدعو إليه هو أدب القوّة، والعقّاد لا يرى المنفلوطي إلاّمنشئًا لا كاتبًا وأدبه ليس إلاّ صنعة لا طبع فيه(شكيب أرسلان، 2008، ص 9).

المحور الثّاني/ القضايا التّربويّة في كتاب النّظرات للمنفلوطي

لم يغفل المنفلوطي في إصلاحاته الاجتماعيّة في كتابه النّظرات القضايا التّربويّة، فغالبًا ما يربط الفشل الاجتماعي بالعناصر الثّلاثة للمنظومة الاجتماعيّة وهي: المجتمع والمدرسة والأسرة، فيذكرها لذلك في سياق واحد، ومن ذلك قوله: "الوالد والأستاذ والمجتمع في مصر عون على النّاشئ وآفة على عقله"(مصطفى لطفي المنفلوطي، 1925،ج1 ص137) ، وقد ركّز المنفلوطي في نقده الأسر، على اعتراض فرط تحميل الأولاد جميع مشاكل الأسرة المتوقّع حلّها، واعتبار الأسرة النّجاحات الشّكليّة للولد في الامتحانات نجاحات حقيقيّة، والعلاقة بينها وبين الوظائف الحكوميّة علاقة حتميّة واضحة ومباشرة، فإذا ما فشل الطّالب في تلك الامتحانات، اعتبروها كسرًا لأمنيّات الأسرة وقطعًا وتخييبًا لرجائها.

والمنفلوطي عندما ينتقد هذه الظّاهرة فإنّه يؤسّس حقيقة أخرى ويؤكّد أولويتها باهتمام المربّين بدل الأولى، وهي أنّ الدّراسة مفتاح النّجاح في تدبير الأمور للطّالب خلال حياته وليست غاية في ذاتها، فإذا حقّق بها أي نجاح بعدها في أي مجال فقد تحقّقت الغاية، وعليه فإنّ فشل الطّالب في الامتحانات ليس فشلاً، لأنّه ليس ملزمًا بأن يعمل بها في الوظائف الحكوميّة، حتّى يحقّق نجاحه، وبالعكس فإنّ المنفلوطي يؤكّد خطر الاعتماد على تلك الوظائف، فإنّها شبه ملاعب يُدخل فيها ويُخرج مَن دار عليه الدّهر بوجهه القبيح هزلاً كأن لم يكن بها، فكما دخل فيها الدّاخل بأوراق فقد يخرج بأخرى، أمّا الّذي أسّس حياته بما تعلّم على عمل يقوم به لنفسه، فالأوراق لا دخل لها في شأنه، والخوف لا يمرّ بباله، ولأجل ما سبق

فإنّ النّجاح إذا وُجد له سبيل آخر أيضًا من غير طريق الدّراسة تُستغنى عن الدّراسة، وإلى هذه المعاني إشارة الكاتب في "مدينة السّعادة"(مصطفى لطفي المنفلوطي، 1925،ج1 ص63) ، و"الانتحار"(مصطفى لطفي المنفلوطي، 1925،ج1 ص137) ، فقد قرّر الكاتب بعد زيارته لمدينة السّعادة الخياليّة بأنّ أهلها بُله سُذّاج متغلغلون في البداوة والجهل، لكونهم لا يعيشون تحت أنظمة حكوميّة ولا يعرفون معنى الدّين ولا المدرسة أو القضاء، لكنّهم مع كلّ ذلك استطاعوا أن يحقّقوا سعادتهم الاجتماعيّة لأنّهم عرفوا سرّ تلك الأنظمة وفائدتها الحقيقيّة فعملوا بجوهرها ولم يعرفوا مصطلحاتها، فلم يضرّهم الجهل بالمصطلحات، ونفعَهم العمل بالمحتويات؛ فقد وجد أبناء المدينة لا يدرسون فسأل شيخهم عن سبب عدم المدارس عندهم فاستغرب الشّيخ من سؤاله، لأنّه جاءهم باسم غريب لا يعرفونه، فلمّا شرح لهم معنى المدرسة، طلبوا منه ذكر الفائدة منها، فبيّن لهم أنّها طريق يُعلَّم خلالها الأولاد بناء مستقبلهم، فأكّد له الشّيخ أنّ ذلك المستقبل مضمون، فقد علّموا أولادهم الصّناعة والزّراعة فكفاهم ذلك.

ذلك أنّ المنفلوطي يريد أن يؤكّد أنّ العلم بالعمل فإذا وجد عمل العلم بدون العلم نفسه لم يضرّ ذلك شيئًا، والعكس هو الخسران المبين؛ وهو الموجود في حياة المجتمع الواقعي غالبًا.

وفي "الانتحار" يحمّل المنفلوطي مسؤولية انتحار طلاّب الباكالوريا كلّ عام إثر رسوبهم على كلّ: من المجتمع، والأستاذ، والآباء؛ فقد رأى أنّ ذنب المجتمع في ذلك أنّهم يحترمون الموظّف البسيط أكثر ممّا يحترمون العالِمَ الكبير، ويطيرون إلى تهنئته في إقبال المنصب عليه، وتعزيته في إدباره عنه. أمّا الأستاذ فقد رأى الكاتب أنّه يضرب لنفسه أسوأ مثال أمام طلاّبه، فكثير منهم يذلّون أنفسهم ويتصنّعون في إرضاء أسيادهم تصنّعًا يخرج بهم عن احترام ذواتهم وإبقاء شرفهم إلاّ شرف المال والمنصب. والأب يعِد ولده منذ بداية إرساله له إلى المدارس بالوزارة والوظيفة الحكوميّة العظيمة، ويتوعّده ويصوّر له مستقبله أسوأ تصوير عندما يخطئ هذه المناصب.

ويبكي المنفلوطي على الأولاد وتربيتهم في كثير من المواضع من كتابه، لأنّه وكما تبيّن من المناقشات السّابقة فاقد الأمل في مجتمعه؛ لما وصل إليه من الفساد، ومعتبرًا الأولاد القلّة الباقية من أمل إصلاحه في المستقبل، وعلى ذلك حارب الكاتب المقاذر العامّة الّتي سمّاها أهلها با الملاعب الهزليّة، وماهي بهزل ولا جدّ، ولا علاقة لها بالتّمثيل أو التّصوير، ولكنّ النّاس أقبلوا عليها لأنّهم لا يعلمون، ودعا جميع كتّاب مصر إلى مساعدته على العمل على استئصال جرثومتها قبل أن تتفاقم وتفسد مستقبل البلد، وذلك في موضوع"الملاعب الهزليّة"(مصطفى لطفي المنفلوطي، 1925،ج3 ص35) حيث أكّد أنّه لا يضنّ فيها إلاّ على شخص واحد وهو الأمل الوحيد الّذي بقي لهم في مستقبل بلادهم ألا وهو الطّالب المصريّ، فليُقبل على الملاعب الهزليّة من شاء وليغبط بها من يريد، لكنّ الشّخص الّذي لا يستطيع كاتبنا تسليم أمره هو الطّالب، ودعاهم

إلى أن يسمعوا منه عتاب إشفاق أبوي أو أخويّ، لا إنكار وانتقام، وقد خاطب فيها الطّلاّب بما مختصره كالتّالي: أيها الطّالب المصريّ أنا حائر لأنّي أعلم أنّك لا تجهل نتيجة فعلك هذا، ولا أنّ هذه الأماكن مقابر الشّرف والمجد، وأنّه من أغرب ما يشهده التّاريخ المصريّ بأرضها، فلا يمنعك بعد ذلك كلّه إلاّ شيء واحد، هو الشّباب الّذي يمنع صاحبه عن الإقلاع عمّا يعلم أنّه هالك إثره، وهذا هو الفرق بيني وبينك، فاعلم أنّ هذا التّمثيل الّذي تحضره لا خيرًا فيه يشفي غليلاً ولا حسنةً تغتفر سيّئة، ولا يتأثّر به من أُعطي أدنى ذوق سليم، ولا يحضره غريب أوّل دخوله أرضنا إلاّ حكم به أنّها أحطّ البلاد لأحطّ الأمم؛ أناشيد سوقيّة مبتذلة، ومُلح مستبشعة، وتصوير للقضايا الجنسيّة بأبشع طريقة وأفحش أسلوب، وما أولائك القائمون على هذا الشّيء الخبيث بأفضل من الطّبّالين والمزامرين الّذين يدورون ببيوتنا فتدفعهم اللّقيمات، والفرق بينهما أنّ أولئك خدعوكم فأتيتم إليهم، وهؤلاء هم الّذين يأتون إليكم، وأغرب ما في هذا الأمر أنّكم هجرتم التّمثيلات الّتي هي نتاج علمائكم العقلاء، وتركتموها للعامّة الّذين لم يدرسوا شيئًا ولا يعرفون مدرسة، كأنّكم تريدون أن يستنتج ناظر في أمركما بأنّ الجهل أنفع للأمّة والعلم هادمها، انصحوا بعضكم واهدموا هذه المقاذر وأعلنوا للعالم أنّ أمّتكم عاقلة .

وفي "الماضي والحاضر" يبكي المنفلوطي على الأولاد مستقبلهم المظلم وسط المجتمع الّذي تختلف حقيقته عن حقيقة ما يدرسونه في المدارس، والّتي يتوقّع أن تكون صدمة للطّالب عند خوضها فيكون بذلك لقمة سائغة وفريسة وحوشه، فقد دعا المنفلوطي في هذا الموضوع مدراء المدارس وواضعي مقرّراتها إلى أن يجعلوا فيها كلّ ما يبصر الطّلاّب حقيقة مجتمعهم وكيفية التّعامل معهم؛ وعليه فإنّ عليهم أن يعلّموهم فيها أنّ ما يدرسونه من الكتب عن الفضل والفضلاء أمور تاريخيّة لا علاقة لها بالحاضر، وعليهم أن يعلّموهم كيف يسرق التّاجر، ويغشّ الصّانع، ويلفّق المحامي، ويدجّل الطّبيب، ويرائي الفقيه...ثمّ يقال له هذه الحياة فإن أرضتك فخضها، وإلاّ فمجال الفضلاء مخصّص فوق قمم الجبال وبين جماعة الوحوش، فليعش فيها بدلاً من ذلك المجتمع الإنساني، فالشّرّ حسب المفلوطي "لا يقاوم إلاّ بالشّرّ، والظّلم لا يدفع إلاّ بالظّلم، وحامل السّيف لا يعيده في غمده إلاّ أمام حامل سيف مثله، والسّيل الجارف لا يقف عن جريانه إلاّ إذا وجد في وجهه سدّا يعترض طريقه...." (مصطفى لطفي المنفلوطي، 1925،ج3 ص164)، وقد رأى المنفلوطي في سياق هذه الانتقادات أنّ الحياة معتركٌ أبطاله الأشرار وأسلحتهم الرّذائل فمن لم يحاربهم بمثلها هلك عند الصّدمة الأولى، فلذلك يجب أن يكون كلّ النّاس فضلاء فيسعدوا بفضلهم، أو أدنياء فيتّقوا شرّ بعضهم، أمّا أن يتقلّد السّواد الأعظم منهم سلاح الرّذيلة، والنّزر القليل منهم بالفضيلة –وهي أضعف السّلاحين– فلا يعني ذلك إلاّ أن يهلك أشراف النّاس في سبيل حياة أدنيائهم، فالدّعوة إلى الفضائل في هذا العصر خداعة يخدع بها أقوياءُ النّاس ضعفاءَهم عن مائدة الحياة الّتي يلتفّون حولها، فليس للكاذب أن يكره الكذب والكذّابين، ولا للمصانع أن يكره المصانعة في الحياة، ولا للماكر أن يكره المكر، إلاّ إذا أراد كلّ أن يستخدم الفضيلة في أغراضه كما استخدم رجال الدّين الدّينَ كذلك في السّابق.

هذه كلّها لما لاحظ الكاتب انقلاب الأمور وموازينها في المجتمع البشري؛ فأصبحت الرّذائل فضائل والفضائل رذائل، فأراد أن ينقدها بهذه الطّريقة السّخريّة، فقد بيّن خلالها أنّ الكرم كان فضيلة يوم كان للإحسان معنًى لدى النّاس وأثرًا في قلوبهم، حتّى إذا استرّدّ الدّهر على المحسن وديعته عرف الّذين أحسن إليهم سبيلاً إلى بيته فطردوا عنه عادية الدّهر، فيصبح كما كان أو أفضل، أمّا اليوم وقد أصبح أولائك النّاس لديهم مجانين وحمقى فيُترقّب هبوطهم أو انزلاقهم للضّحك عليهم، فلم تعد للكرم فائدة ولا يُعدّ فضيلة من الفضائل، وأنّ الرّحمة كانت فضيلة يوم كان النّاس صادقين في أحاديثهم عن أنفسهم، فلا يعترف بالبؤس إلاّ البائس، ولا يلبس القديم إلاّ من عجز عن لبس الجديد، أمّا اليوم وقد هانت نفوسهم وأصبح الكثيرون يتظاهرون بالمسكنة والشّقاء وهم قادرون على دفع ما بأنفسهم إلاّ أنّهم يريدون من ذلك سبيلاً إلى استلاب أموال غيرهم، فليست الرّحمة فضيلة من الفضائل، وبيّن أنّ الشّجاعة كانت فضيلة يوم كان النّاس يتعاونون مع الشّجّاع إذا وقف موقف الصّادق الّذي تعود منفعته إليهم جميعًا، أمّا وقد أصبح الشّجّاع ضحيّة ميدان الحقّ فإن نجح صفّقوا له والتفّوا حوله، وإن فشل ابتعدوا عنه وتركوه وحيدًا فريسة الأشرار، فليست الشّجاعة فضيلة، وأنّ القناعة كانت فضيلة يوم لم يكن المال غاية غايات النّاس في الحياة ومعيار كلّ الخير لديهم، أمّا وقد أصبح فقدان المال ذنبًا بعينه فليست القناعة فضيلة من الفضائل، وأنّ الغضب كان رذيلة يوم كان النّاس يعرفون فضل الحِلم ويجلّونه إجلالاً، أمّا وقد أصبح الحِلم طريق الشّقاء أمام كلّ النّاس في مطالبهم، فلا خير في الحِلم، والخير كلّ الخير في الغضب.

وقد وصل الكاتبَ في "الآداب العامّة"(مصطفى لطفي المنفلوطي، 1925،ج3 ص120) أنّ شبابًا من طلاّب المدارس المصريّة سلكوا طريقًا سيّئًا لا يناسب مع كرامتهم ومنزلتهم في طلب العلم، وذلك في تعاملهم مع فتيات الأمّة وهنّ في طريقهنّ إلى المدارس والأسواق أو إلى صلة الأرحام، طريقة سافرة مستهترة في الشّهوات، فبكى عليهم وعلى شرفهم بما مختصره التّالي:

أيّها الفتيان المصريّون، أصحيح ما يقولون أنّكم تتعرّضون لطرق الفتيات المبعوثات إلى المدارس ليكملن آدابهنّ بالعلم الّذي يتعلّمنها، بالإفساد عليهنّ نفوسهنّ وعقولهنّ بأمور الشّهوات والمخدّرات؟!، أحقّ أنّكم تتحايلون عليهنّ فتعطونهنّ رسائلكم ليعطينكم رسائلهنّ، وتهدونهنّ صوركم ليهدين لكم صورهنّ، حتّى إذا فرّق بينكم فارق وإيّاهنّ أمسكتموهنّ بتلك الوسائل فلا يستطعن التّفلّت منكم؟! أحقّ أنّكم أصبحتم تتفاخرون بصور الفتيات وأيّكم أكثر جمعًا لها ولأجملها، وتسيئون إلى أيّهنّ شئتم إذا انفلتت من أيديكم بها ؟! أحقّ أنّكم تتوسّلون إليهنّ بكلّ الوسائل فترسلون لهنّ أخواتكم أو بنات أعمامكم ليخدعنهنّ لكم؟! أصحيح أنّكم فقدتم في طريقكم أخلاق الرّجولة فأصبحتم تقضون معظم أوقاتكم في التّرجّل والتّزيّن من أجل ملاقاة الفتيات، وأنّكم انتهكتم حرماتهنّ بفساد نفوسهنّ ثمّ أتيتم إلى عقولهنّ فأفسدتموها بالمخدّرات ؟! إنّ هذه الفتاة الّتي تزدرون بها وتحتقرونها وتنتهكون حرماتها أمّ أولادكم غدًا، وصاحبة منازلكم ومستودع أسراركم، فانظروا كيف يكون

مستقبلكم وأولادكم معها بما تفعلون بها اليوم، إنّ تكوين الفتاة ليس في طفولتها ولا شيخوختها، وإنّما في عهدها هذا الّذي أنتم تعبثون به، إنّي لا أناشد في شأنكم القانون فهو مدني، ولا الحكومة لأنّها مشغولة بغيركم، ولا الآباء لأنّهم عاجزون، ولا الدّين لأنّه ضعف في نفوسكم، إنّما أناشد ضمائركم الحيّة والّتي تناشدكم بمثل ما أناشدكم بهنّ فأصغوا إليها تجدوها تقول لكم: إنّ الفتاة الّتي تستهينونها تجمعكم وإيّاها رابطة الأخوّة المصريّة، وستجدوا منها أنّ قلب البنت الّتي تعبثون بها، لا تستطيع البنت أيضًا أن تعيش به في زواجها هانئة سعيدة لا ينغّصها ذكر الماضي فدعوه لصاحبه يفتحه في حينه.

وزجر الكاتب بتصوير مأساويّ عن رمي الأطفال –في قصّة اللّقيطة– إذ إنّ فاعل ذلك لا يعلم ما سيجلبه من المأساة على هذا الولد في حياته إن عاش؛ فها هي ذي اللّقيطة قد لاقت الويلات في حياتها حتّى ماتت عليها، فقد بقيت الفتاة المسكينة لا تجد في الحياة أبًا تحنو إليه أو أمّا تشفق عليها، حتّى أصبحت فريسة الإنتهازيّين من النّاس الأشرار، فاستعملت في الأعمال كآلة في المصانع، وضربت فيها كحمار، حتّى أتوا إلى افتراسها في أسمى شيءٍ يبقى لها وهو عرضها وجوهرة عفافها، ففرّت تبحث عن مخرج لها حتّى وقعت في يد ذلك المحسن الرّحيم، فأشفق عليها وأسكنها عنده مع ابنته، فدارت الأيّام لتعيدها إلى شقائها، لما حاولت أن تستر تلك الفتاة الّتي أصبحت هي معها في بيت أبيها في فاحشة زناها، فحتّم القدر أن يكون إنقاذها لها إهلاكها لنفسها فاتّمت بعمل تلك الفتاة، وبكفر النّعم مع من أحسن إليها، فلم تجد لها من يقف وراءها ومن يشهد على براءتها حتّى قرّرت أن تلقي بنفسها في البحر وتودّع هذا العالم وأهله لما أخرجها الرّجل من بيته، لتَظهر براءتها بعد موتها ولات حين مناص(مصطفى لطفي المنفلوطي، 1925،ج2 ص30).

ويعتبر ظاهرة رمي الأطفال ظاهرة ناتجة عن المشاكل الزّوجيّة، وغالبًا ما تكون متعلّقة بالعلاقات الجنسيّة غير الشّرعيّة، الّتي تلعب بدورها على إعطاء الفتيات أوصافًا سيّئة في المجتمع البشري فيهربن منها؛ فيرى بعضهنّ الإجهاض حلّاً للخلاص من العار، ويرى الأخريات الرّمي بعد الولادة وغير ذلك، فيمكن الفهم من قصص المنفلوطي الزّاجرة عن هذا الفعل الشّنيع، الزّجر أيضًا عن تلك العلاقات الّتي تكون الرّمي نتيجة طبيعيّة لها، كما يتّضح موقفه في تلك أيضًا في مختلف القصص الّتي تمّ ذكرها في إصلاح الإعوجاج الخلقي وفي التّربية.

الخاتمة والنّتائج:

بعد الجولة على كتاب النّظرات للمنفلوطي، وتسليط الدّوء على القضايا التّربويّة فيه، يتوصّل الباحث إلى النّتائج التّالية:

1). حسب المنفلوطي، رأس مال الأمّة ومستقبلها الواعد هو الأبناء، فلذلك يجب تركيز الجهود في تكوين النّاشئة، من حيث تبصيره لحقيقة الحياة لأنّ الفساد قد تجذّر في الكبار لدرجة يقطع الرّجاء من نجاح توعية في حقّهم، وحرصًا لهذا الأمل الوحيد الّذي يبقى للأمّة لم يرض المنفلوطي بالعلاقات السّافرة المبكّرة بين البنين والبنات في المدارس وحرص على

انتفائها، كما حرص على السّدّ بينهم وبين طرق الملاهي والملاعب اللّيليّة حيث أهدر الكبار عقولهم وأموالهم ومستقبل بلادهم.

2. حضّ المنفلوطي في القضايا التّربويّة كثيرًا على تعليم الأولاد حقائق الأمور لا أشكالها؛ فليست فائدة الدّراسة موقوفة فقط على العمل بها في الدّوائر الحكوميّة، بقدر ما هي مفتاح عام لجميع مجالات الحياة، فلا يجوز فرط عدّ الشّهادات مفاتيح النّجاح، أو عدمها أسباب الفشل لدرجة الإحباط واليأس حالة الرّسوب في الامتحانات.

3. كما انتقد من خلال تبصيره للأولاد المجتمعَ في فساده الّذي وصل إليه وغموضه، فدعا بسخريّة إلى أن يُعَلَّم الأولاد حقيقةَ المجتمعِ حتّى لا يُخْدعوا فيه فيقعوا ضحايا الظُّلم الطّاغي لأنّ المسافة بين ما يدرسونه وما هو في الواقع مسافة طويلة، دعوة للمجتمع إلى الوضوح والعودة إلى البرّ والصّلاح.

4. يحرص المنفلوطي كثيرًا على أن يعَلّم الأولاد الأعمال حتّى لا يصبحوا يومًا وعلاقتهم بالأموال إسرافها لا طريق كسبها، ثمّ يصبحوا بذلك ولا مستقبل لهم إلاّ الحيرة، ولا منادح لهم، إلاّ منازح الكسل والقمار والخمر.

5. أمّا مسؤليّة نجاح الأولاد أو فشلهم في الحياة، فقد حمّلها كاتبنا على كلّ: من المجتمع والمدرسة والأسرة.

المصادر والمراجع

أحمد أمين. (2012) النّقد الأدبي. مؤسّسة الهنداوي. القاهرة.

الثّعالبي. أبو منصور الثّعالبي. (1956) يتيمة الدّهر. ط2. مطبعة السّعادة. مصر.

جيرالد برنس. (2003) المصطلح السّردي. ترجمة عابد خزندار مراجعة وتقديم محمّد بريري. ط1. المشروع القومي للتّرجمة القاهرة.

الزّيّات. أحمد حسن الزّيّات. تاريخ الأدب العربي.ط2. دار النّهضة.القاهرة. د.ت.

سيميرة عدلي محمّد رزق. (1983) الاتّجاه الإنساني في أدب المنفلوطي. بحث ماجيستير، جامعة أمّ القرى عام.

شكيب أرسلان. (2008) مناهل الأدب العربي. ط1. الدّار التّقدّميّة. لبنان.

الشّنوفي. رضوان ظاظا. منصف الشّنوفي. (1997) مدخل إلى مناهج النّقد الأدبي. ط221.المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب. الكويت.

صلاح حسن. (27 أكتوبرن 2014) المنفلوطي إمام النّثر على يده تطوّر الأدب العربيّ. جريدة الحياة.

صلاح فضل. (2002) مناهج النّقد المعاصر. ط1.ميريت. القاهرة.

طه حسين. (2017) التّقليد والتّجديد. د.ط . مؤسّسة الهنداوي. القاهرة.

العبهري، ميسون محمود فخري العبهري. (2005) النّقد الاجتماعي في لزوميات أبي العلاء المعرّي. ط1.رسالة ماجيتسير. جامعة النّجاح الوطنيّة. كلّيّة الدّراسات العليا.

العقّاد والمازني. عبّاس محمود العقّاد. إبراهيم المازني. (1996) الدّيوان في الأدب والنّقد. ط4. دار الشّعب. القاهرة.

غنيمي هلال. محمّد غنيمي هلال. (2005) النّقد الأدبي الحديث. ط6. شركة نهضة مصر.القاهرة.

الفاخوري. حنا الفاخوري. (1986) الجامع في تاريخ الأدب العربي.ط1.دار الجيل. بيروت.

قاسم أمين. (2012) تحرير المرأ. د.ط. مؤسّسة الهنداوي.القاهرة.

المتنبّي أبو الطّيّب. (1983) ديوان المتنبّي. دار بيروت. بيروت.

محمّد بن حسن. (1995) الهمّة طريق إلى القمّة. ط3. دار الأندلس الخضراء.جدّة.

مسعود عمشوش (25فبراير–2012) أسلوب المنفلوطي في النّظرات. مدوّنة مسعود عمشوش.

المنفلوطي. مصطفى لطفي. (1991) االحجاب، ط1.دارالهداية.بيروت.

المنفلوطي. مصطفى لطفي. العبرات. د.ط . دار الهدى الوطنيّة.بيروت.د. ت.

المنفلوطي. مصطفى لطفي المنفلوطي. (1984) مختارات المنفلوطي. د.ط.بيروت. دارالجيل.

المنفلوطي. مصطفى لطفي. (1925) النّظرات. د.ط. دار مصر.